العولمة المعاصرة وآثارها على الأمة الإسلامية

د. زهرة محمد مصباح ـ قسم الفلسفة ـ كلية الآداب جامعة الزاوية

المقدمـــــة:

الحمد لله ذو الفضل والمنة والصلاة والسلام على النبي الأمي المبعوث بالهدى والسنة وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد...

إن العولمة أضـــحتْ تمارس نوعاً ، من التحكم والضـــبط لســـلوك الأفراد والمجتمعات بطريقة قسرية رغم بعض ايجابياتها فهي من أهم القضايا المعاصرة التي تمس حياة الإنسان ، فقد لاقت ذيوعاً وانتشاراً في السنوات الأخيرة من القرن العشرين وتعبر عن مظاهر التغيير المتجدد في جميع مناحي الحياة واتجاهات العالم، فمن مظاهرها الواضحة التأثير في المقومات الحضارية للأمم ، مثل محاولة تغيير هويتها القومية وجعلها تابعة لها ومن مظاهرها- أيضـــاً - التأثير السّـــلبي في ثقافة أمتنا الإســـلامية المعاصـــرة على اعتبار أن هذه الثقافة ما هي إلاّ مُحصّـــلة اندماج بين عدّة عوامل ، منها ما هو ديني أو ســـياســـي أو اجتماعي ، فإنها تعد بمثابة التجربة التي تلخص الجوانب الإبداعية والاجتماعية والعقائدية ، التي تســـمح بالتمييز بين مجتمع وآخـــــر، والســـــؤال الذي يطرح نفسه هنا : هل يمكن للعولمة أن تعمل على توحيد ثقافات المجتمعات على اختلافها في ثقافة كونية واحدة؟ فمعظم الذين تناولوا موضوع العولمة ، وعلى اختلاف آرائهم موقفهم منها ، يركزون على الظواهر المميزة لها واكتساح سيادة من خـــــــــلال تعميق تقارب المسافات بين الأفـــــراد عن طريق المنظومة المعلوماتية ، ونشـــــــــر أنماط الأزياء والاستهلاك (أي : ثقافة غربية) ، وخاصة الأمريكية على نطاق عالمي.

إشكالية البحث:

من خلال دراسة هذا الموضوع تظهر أمامنا إشكالية متمثلة في طرح تساؤل مهم ألا وهو: هل للعولمة إيجابيات وسلبيات مؤثرة على الأمة الإسلامية المعاصرة ؟

ويعد هذا الســـؤال مدخلاً رئيســـاً للحديث عن هذا الموضـــوع من منطلق إن العولمة ليست خيراً كلها وليست شراً كلها.

تساؤلات البحث :

من خلال ما سبق تطرح الباحثة التساؤلات التالية :

1- هل العولمة تساعد على التعاون المثمر بين الأمم والشعوب؟
2- هل للعولمة لها ايجابيات مثلما لها سلبيات؟
3- هل الاستخدام الأمثل للإنترنت ساعد نشر الإسلام؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الآتي:

1- التعرف على مضمون العولمة العام من أجل التوصل إلى الحقائق الكامنة وراءها.

2ـــــ المســـاهمة في تقديم قراءة متكاملة قدر الإمكان حول العولمة وآثارها الإيجابية والسلبية.

3ـ إثارة التوعية بالعولمة من أجل الوقوف ضد سلبياتها والأخذ بالإيجابيات التي يمكن أن نستفيد منها.

4ـ يهدف البحث إلى توضح الإجراءات الكفيلة لمواجهة العولمة.

أهميّـــــة البحث:

يستمد البحث أهميته من التأثير الواضح الذي أحدثته العولمة على الأمة الإسلامية المعاصرة ، وإثارة التوعية بالمخاطر والآثار السلبية التي تحدق بمعتقداتنا ومبادئنا وقيمنا الدينية المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله الكريم رغم ايجابياتها.

منهـــــــج البحث:

اعتمدت المنهج التحليلي باعتباره أنسب المناهج لتحقيق أهداف البحث

خطـــــة البحث :

وبناء على ما سبق كان تقسيم البحث كالآتي : مقدمة وثلاثة مباحث ، كان أولها: يتحدث عن مفهوم العولمة بشكل عام ، وثانيها: يناقش ويحلل الآثار الإيجابية للعولمة، وثالثها: يتعرض للآثار السلبية للعولمة والإجراءات الكفيلة لمواجهة العولمة ثم الخاتمة .

المبحث الأول ـ العولمة كمفهوم عام:

العولمة كمفهوم عام لا يمكن تحديده تحديداً دقيقاً، لأنه عملية مستمرة من التحولات والتغييرات المذهلة ، لدرجة يستحيل معها مواكبة ومتابعة تلك التحولات الكبرى المعاصرة في جميع مجالات الحياة المختلفة اقتصادية، وسياسية، واجتماعية، وثقافية...الخ.

ويقصد بالعولمة اصطباغ العالم بصبغة واحدة شاملة لجميع الدول والشعوب وكلّ من يعيش فيها ، وتوحيدها في كافة مجالات الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية ، من غير اعتبار لاختلاف الأديان والثقافات والجنسيات والأعراف ، كما أنها تغيير لما هو مألوف ، وترك الأمور تتحرك ضمن انساق جديدة لا محدودة عبر العالم[1] ، فالمفهوم العام للعولمة يستخدم كأداة لوصف عمليات التغير التي تحدّث في جميع مجالات الحياة ، باعتبارها عمليات مستمرة، ويُمكن ملاحظتها باستخدام مؤشرات كمية وكيفية في مجالات السياسة والاقتصاد والثقافة والاتصال ، وتُشير بعض الدّراسات أنه لابد من ضرورة تحديد المشكلات المرتبطة بالمفهوم ، وبهذا يطرح سؤالاً هام ، ما هي العوامل التي أدّت إلى بروز العولمة في الوقت الراهن؟ ويعقب هذا التساؤل عدة أسئلة منها : هل العولمة تنطلق من مصادر رئيسية واحدة أو من مصادر مختلفة ومتداخلة ؟ وهل العولمة تتضمن زيادة التجانس أم تعميق الفوارق والاختلافات؟ وهل كان ظهور العولمة مواكباً لظهور التطور العلمي في العالم ، وتقدم التقنية الحديثة، أم لها جذوراً موغلة في القدم[2].

ولتوضيح مفهوم العولمة يمكن أن نقدم مجموعة من التعريفات لبعض الباحثين والمفكرين لنستخلص منها مفهوماً عاماً بسيطاً يمكن من خلاله فهم العولمة ومنها:

1- **مايك فيدرستون (Mike Fidenston):** فيرى أن العولمة يمكن فهمها من خلال النموذج الذي يصبح العالم بموجبه موحداً، فهي تعد مدخلاً فكرياً لفهم مشكلة النظام العالمي ، بأشمل معانيه، فتتعلق بالتناول المتعدد الأفرع العلمية ، وذلك بدراسة العالم ككل من خلال العلاقات الدولية بين الدول، فيقول بأن ثمة ارتباطاً ما بين العولمة والحداثة والتحديث ما بعد الحداثة وما بعد التحديث[3]، ويؤكد بأن دراسة العولمة ينبغي أن تقتصر على الماضي القريب ، كما أن مصطلح العولمة في حد ذاته ينطبق على سلسلة من التطورات والتحولات الكبرى التي تحدث في العالم وخاصة في السنوات الأخيرة من القرن العشرين وامتداداً إلى القرن الحالي[4]، فيعرفها "بأنها بلورة العالم في مكان واحد"[5].

2ـ انطوني جيدنز (Antony Jidmes): يرى أن العولمة " ما هي إلاّ سلسلة معقّدة من العمليات تَكتسب قوة دفعها من خليط من المؤثرات السياسية والاقتصادية ، و تهدف إلى تغيير مظاهر الحياة اليومية، وخاصة في الدول المتقدمة، وفي الوقت نفسه تخلق نظماً وقوى غير قومية جديدة، تسعى إلى تغيير في المؤسسات والمجتمعات التي

تعيش فيها"[6]، فالعولمة من وجهة نظره لها أربعة ابعاد، هي نظام الدولة القومية، واقتصاد العالم الرأسمالي، والنظام العسكري العالمي، والتقييم الدولي للعمل[7].

3- السيد يسن: فيرى أن العولمة ليست مجرد مفهوم، وإنما هي عملية تاريخية ونتاج تراكم طويل في إطار النظام الرأسمالي[8]، أي أنها عملية مستمرة تكشف كل يوم عن وجه جديد من وجوهها المتعددة، ويرى أنه لكي نستطيع فهم مفهوم العولمة، لابد لنا أن نأخذ في الاعتبار ثلاث عمليات توضح جوها: أولها ما يتعلق بانتشار المعلومات بحيث تصبح مشاعة لدى جميع الناس، وثانيهما : يتعلق بتذويب الحدود، حتى يتحول العالم وكأنه قرية صغيرة، وثالثهما: يتعلق بزيادة معدلات التشابه بين الجماعات والمجتمعات والمؤسسات[9].

4- سيار الجميل: فيرى أنها عملية كونية هائلة تجمعها مجموعة معقدة ومتشابكة من العمليات التي تفكك كل ما هو مألوف وقديم من الثواب لكي تعيد فتخلق أو تنتج روابط وانساقاً جديدة، تتجاوز حدود الدول والمجتمعات والمعاني والأنماط[10]، ويذهب - أيضاً - إلى أن العولمة ظاهرة تاريخية كبرى لها أنماط متعددة الوجوه ومناهج متنوعة الحقول ومخاطر لا متناهية ليس في إعادة إنتاج نظام الهيمنة القديم بل في إنتاج نظام مهيمن واسع في متغيراته القيمية على امتداد القرن الحادي والعشرين.

ومن خلال الطرح العام لمفهوم العولمة يتضّح أنها ظاهرة قديمة، ومستمرة، ارتبطت بتطلعات الإنسان إلى خارج حدوده منذ القدم، إما في البحث عن سلعة أو تصديرها، إلا أن ظهور الثورة الصناعية وظهور السلعة والحاجة للبحث عن أسواق جديدة، والربح المستمر شكل بداية واضحة للعولمة، فطالما ارتبطت العولمة بالاتصال والتجارة، ومنذ اكتشاف البوصلة، فإن الجانب الاقتصادي هو الذي طغى على غيره من جوانب العولمة أو التغييرات الأخرى ما هي إلا إفرازات للجوانب الاقتصادية.

المبحث الثاني ـ آثار العولمة الإيجابية على أمتنا الإسلامية المعاصرة :

بفعل العولمة أصبح الإنسان يعيش في فضاء عالمي مفتوح غير خاضع لحدود أو قيود ، فأصبح يعيش مع الآخرين لحظات أفراحهم وأحزانهم بهدف التعاون المثمر بين الأمم والشعوب ، وذلك عن طريق تخفيف الحواجز والعوائق التي تعيق الاتصال والإعلان الحر المباشر بين الدول ، بغض النظر عن الهويات والخصوصيات الثقافية، فاستخدام التقدم التكنولوجي المثمر في وسائل الإعلام والاتصال ساعد على تشابك المصالح وتبادل الخبرات واستغلال ثروات العالم، من أجل تحويله إلى قرية كونية صغيرة يعمها الأمن والسلام، وبالرغم من سلبيات العولمة المحيطة بنا فإن هناك كثيراً

من الإيجابيات التي قد تتفق في مضـــمونها مع تفكيرنا وحياتنا ودينيا وثقافيا، ومن أهم هذه الإيجابيات ما يلي:

1ـــ تحمل العولمة في طياتها فرصـــاً كثيرة ومتنوعة ، فبالإمكان اسـتغلالها لتحقيق أهداف وغايات إنسانية عالمية، فعصر العولمة ساعد على انتشار الإسلام على مستوى عالمي، وذلك لطبيعة التقارب الذي جعل العالم كله وكأنه قرية صـغيرة واحدة، فشـبكة المعلومات الدولية لها دور كبير في انتشـار الإسـلام إذا اسـتعملناها الاسـتعمال الأمثل، فيجب علينا كمسـلمين أن نسـتغل هذه الوسـيلة للدعوة إلى الإسـلام وتبليغه إلى جميع أنحاء العالم.

2ـــ العولمة تحمل فرصـــاً معرفية هائلة مصـــاحبة للثورة العلمية والتكنولوجية التي جعلت البشرية اليوم أمام آفاق معرفية لا نهائية، فهي تساعد على أن نفكر على مستوى عـالمي ؛ إذ إن من طبيعـة التقدم الحضـــاري أن يزيد من إمكـانيـات النـاس وتوســـيع مداركهم.

3ـــ تسـاعد العولمة على التعاون المثمر بين الأمم والشـعوب ، حيث بدأت تتلاشـى وتنهار وتسقط الأسوار لتحقيق الفرصة التاريخية للنهوض من جديد، ليحصل الاتصال الحر والمبـاشـــر بين الأفراد والجمـاعـات، بغض النظر عن الأجنـاس والقوميـات والثقافات لاسـتغلال خيرات العالم كقرية صـغيرة يعمها الخير والسـلام والرفاهية بين البشر[11].

4ـــ إتاحة الفرصـــة لنقل الثقافة الإسـلامية، وذلك بزوال كثير من العوائق التي كانت تحول دون انتشـارها فسـهولة الاتصـال عبر الإنترنت والتواصـل عبر وسـائل الإعلام من خلال بث برامج دينية وثقافة إسـلامية عبر الفضـائيات والمسـموعة والمرئية، كان له دور كبير في وصول مقومات الثقافة الإسلامية إلى أقصى بلدان العالم[12].

5ـــ تكشف ثقافة العولمة عن سلسلة من التغيرات التي تطرأ على العقل والسلوك في الحياة اليومية، وباعتبار أن العولمة تعبر عن ديناميكية الحركة والانتشـــار، وتدفع إلى التفـاعـل المتحرك مع المتغيرات المتســـارعـة حتى نعي مـا يجرى حولنـا، ولا نقف عاجزين عن مواكبة التطورات العصرية[13].

6ـــ العولمة مليئة بالفرص الإيجابية، مثلما هي مليئة بالتهديدات والمخاطر، فهي تتيح فرصـــة الحصـــول على المعلومات والأفكار المهمة، وإمكانية الوصـــول إلى المعرفة الشـاملة عن طريق البيانات والإحصـاءات والأبحاث العلمية، فكل هذا يسـهم في إثراء الجانب العلمي والمعرفي في الثقافة الإسلامية[14].

7ـــ زيادة التواصل بين المسلمين، حيث بدأ المسلم المعاصر قادراً على معرفة أحوال المسلمين في جميع أنحاء العالم الإسلامي، ومعرفة التحديات التي تواجههم، فلقد أسهم البث الفضائي في نقل ما يتعرض له المسلمون مثلاً في فلسطين والعراق ولبنان اليوم، فعلينا نحن المسلمين أن نغتنم الفرصة لتقديم يد العون والمساعدة لإعانة إخواننا المسلمين، فهنا ليس باستطاعة إسرائيل وأمريكا أن تحجب ما تفعله بالعالم من قصف وتدمير واحتلال، فالإعلام الغربي اليوم يشكو من بعض القنوات العربية التي تنقل واقع المسلمين المتدني عبر القنوات الإعلامية مباشرة[15].

8ـــ العولمة فتحت عيون كثير من الناس في التعرف أكثر على مساوئ العولمة الثقافية، من خلال انتشارها الواسع من قبل منظريها ومحاولة تسويقها بين الشعوب وكأنها سلعة تجارية ، فأدى هذا إلى مواجهة الكثير لها ، وخاصة الثقافة الغربية في نسختها الأمريكية[16]، وذلك بما تحتويه من تناقض وتحيز ومادية.

9ـــ لقد ساعد الاستخدام الأمثل للإنترنت على فتح مواقع إسلامية خاصة لترجمة القرآن الكريم لنشر وتوضيح مبادئ العقيدة والثقافة الإسلامية، فأصبح بالإمكان بعث رسالة موجزة منظمة عن الإسلام وتعاليمه وما ينادي به من تسامح وعدل ويمكن أن ندعمها ببعض الآيات القرآنية ثم إرسالها عبر مواقع الإنترنت لتصل إلى جميع أنحاء العالم[17].

10ـــ تعتبر ثقافة العولمة بأبعادها الكلية الشاملة منتجاً واسع التسويق حيث يتم تسويقها على نطاق العالم بأكمله، وبشكل تجاري غير معروف من قبل، ومن ثم بروز وعي جديد ومفاهيم وقناعات ورموز ووسائط ثقافية جديدة تتفق مع هذا العصر، فهي تدفع الشيء للتعولم ، وذلك مما تقوم به من ابتكارات واختراعات علمية متقدمة يستفيد منها الكل[18].

11ـــ تعمل على كسر حالة الخوف من مجاهيل المستقبل وحالة الجمود والتحجر التي تؤدي إلى العجز والتراخي والكسل ، وأيضاً كسر حركة تجميد التاريخ وإيقاف الزمن وموت المشاعر وكبت العواطف من أجل تحديد التوجهات والمسارات والطرق والأهداف والأساليب والوسائل والمناهج التي تساعد على تطور العالم[19].

المبحث الثالث ـ آثار العولمة السلبية على أمتنا الإسلامية المعاصرة:

تتضمن ثقافة العولمة في جانبها السلبي عواقب خطيرة تتجسد في تهميش دور الدولة ، ومن ثم غياب خدماتها الأمنية والصحية والثقافية، وغياب الضوابط والقواعد الحاكمة للسلوك، فأدى ذلك إلى ظهور القوى الطامعة وانتشار الجريمة المنظمة ونمو

آلياتها المؤثرة من أجل تذويب الثقافات المختلفة في بوتقة الثقافة الغربية بكل ما تحمله من أنماط وسلوكيات وأخلاقيات غربية تتعارض معنا كمسلمين.

وإن المناهضين للدين الإسلامي يسعون بكل الطرق والوسائل إلى فرض تأثيرهم على المسلمين، وتطبيعهم بالطابع الغربي، ومحاولة إباحة ما حرمه الدين الإسلامي من أجل ضرب العقيدة والثقافة الإسلامية، وتأثيرهم في جميع قضاياها، ومن أهم هذه الآثار السلبية ما يلي:

1ـــ محاولة إشغال المسلمين بالبحث عن أسباب المعيشة المترفة، بدلاً من التفكير في أمور الدّين، وهذا الأمر يؤدي إلى الذوبان في خضم الحياة العامة والانصراف عن التفكير في أمور الدين والأمة[20]، وما يؤكد ذلك اليوم ما نلاحظه في حياتنا حيث يعيش العالم الإسلامي حالة من الصراع المعيشي للبحث عن لقمة العيش فسعي الغرب بما يمتلكه من مقدرات اقتصادية (تجارية) وسياسية إلى تفريغ العالم الإسلامي من مضمونه حتى يظل تابع للغرب في جميع نواحيه.

2ـــ تأثيرهم في المسلمين بإغراق الجيل الناشئ بالملذات وإفساده باتباع الشهوات والمتع الجسدية، حتى يصبح الإنسان عبداً لنفسه، فالدين الإسلامي الحنيف يحرم مثل هذه الممارسات ويعتبرها خروجاً عن الفطرة السليمة التي جبل عليها الإنسان، ويتحقق هذا عن طريق ما حلله الله بالطرق الشرعية بعيداً عن كل ما من شأنه أن يفكك الأسرة والمجتمع[21] ، فالواقع المعاش اليوم يؤكّد هذا الكلام.

3ـــ انصراف كثير من العلماء إلى البحث في مسائل ثانوية، وافتعال المعارك الكلامية التي لا وجود لها في الواقع، فالبعض يتكلم على مسألة ثم يشرحها، ثم يحدث عليها عدة إشكالات، ثم يتم التعليق عليها مرات عدة، وبهذا يكثر الغلط ويهدر الوقت[22].

4ـــ تسعى العولمة إلى الإطاحة بالإسلام، وذلك بطمس حقائقه وتعاليمه، ومحاصرة تعاليمه، فهي خصصت قنوات فضائية اليوم تنشر أفكاراً معادية للدين وسلوكيات منافية لأخلاقياته، بقصد إضعافه وتنفير الناس منه من خلال ما تنشره الفضائيات من مقاطع أو أفلام ذات دلالات وصور فاضحة[23].

5ـــ محاولة التأثير في أصالة الأمة وشدها إلى الوراء، حتى تتأخر عن مواصلة حمل رسالتها العالمية فالقصد من إقامة الملاهي الليلية إفساد عقول الشباب وتخميرها حتى تؤدي بهم إلى التهلكة ، وما يدعو إلى الفساد - أيضاً - نشر المجلات الخليعة الفاضحة التي تقدم أخبار الفن والفنانين ، وهي ما تلفت انتباه الشاب أو الفتاة إلى القراءة عن الفن بدلاً من التوجه إلى قراءة القرآن الكريم، ومعرفة أصول الدين[24]، وما يؤكد ذلك

الدراسة التي أجرتها : ريما سعد الجرف ، والتي توصلت فيها إلى أن قراءة المجلات تمثل نسبة 77% من قراءات الشباب اليوم التي تهدف إلى تسطيح ثقافة الشباب وصرف انتباههم عن قضايا الأمة[25].

6ـــ محاولة ترسيخ مقولة أن عصر الشريعة والدين قد ولّى ، حيث إنها لم تعد قادرة على مواكبة العصر، ولا تلبي احتياجاته ، فهي سبب التأخر كله في الأمة الإسلامية، وهذا ما أثر في أصحاب النفوس الضعيفة من المسلمين، وما يؤكد ذلك ظهور بعض النشء الذين وقعوا فريسة للغرب ينتقدون كمال الإسلام وعظمته وشموله، فالحقيقة التي يجب أن تفهم هي أن الدين الإسلامي ليس ضد العلم أو متغيرات العصر[26].

7ـــ تصنيف المنظمات الإسلامية الدعوية من ضمن المنظمات الإرهابية ومعاداتها بشتى الطرق لإيقافها أو عرقلتها عن الدعوة إلى عالمية الإسلام[27]، وما يؤكد ذلك ما يُجرى اليوم مع بعض الدعاة من محاولات اغتيالية للقضاء عليهم ومنعهم من توعية الناس بأمور دينهم.

8ـــ نشر المذهبيات والانقسامات داخل الأمة، حيث إن كل مذهب لا هم له إلا التهجم على معتنقي الدين الذين يخالفون في كل صغيرة وكبيرة ، فهذه الانقسامات أثرت في تماسك الأمة الإسلامية[28]، والدليل على ذلك ما يحدث اليوم من انقسامات مذهبية في السنة والشيعة مثلاً داخل الدول العربية الإسلامية كلبنان والعراق.

9ـــ دعت قوى العولمة إلى محاولة ترك المرأة الحجاب، فسعت إلى إنشاء بيوت أزياء متخصصة في إبراز مفاتن المرأة وترك الشرف والعفة والفضيلة جانباً، وبهذا تسابقت النساء في كسب رضا الذوق العام في عرض الأزياء، فترتب على هذه الدعوة ومن اتبعها ضياع الكرامة، وخروج المرأة شبه عارية ، لتغري الرجال وتثير شهواتهم، وتدفع بهم إلى مهاوي الرذيلة، فالدين الإسلامي يرفض ويحرم كل ذلك باعتبار أنه يؤدي إلى الحط من قيمة المرأة، وما يؤكد ذلك قوله – تعالى- : (**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ**)[29]، فالعولمة تهدف إلى التأثير في المسلمين وذلك بإباحة العلاقات الجنسية غير المشروعة والمحرمة عند الله، فيسرت الطرق والوسائل أمام الشباب بارتكابها، لينشأ جيل يسعى إلى فعل المحرمات، وترك ما أمرنا الله باتباعه، وما يساعد على ذلك نشر الأفلام الخليعة على نطاق واسع، التي تثير الحب الشهواني، وتدني المستوى الأخلاقي عامة، وخير دليل على ذلك ما تبثه بعض القنوات الفضائية التي تدعو إلى الإباحية من خلال عرض مسلسلات وأفلام وإغراءات تساعد على الانخراط في تيار الرذائل والفواحش التي

يرفضها الدين الإسلامي، ومن المؤكد أن كل هذه المسائل المؤثرة في الأمة الإسلامية كانت موجودة من قبل ولكن هذا التأثير ليس بنفس قوة التأثير التي يعيشها العالم اليوم بحكم الابتكارات العلمية الحديثة.

10ـــ الادعاء بأفضلية الثقافة الغربية على الثقافة الإسلامية، فالادعاء يحمل في طياته تناقضاً واضحاً للمعتقد والدين الذي تمثله الثقافة الإسلامية ذات المصدر الرباني (كتاب الله وسنة رسوله)، الذي كفل لها العصمة والأفضلية على غيرها من الثقافات الأخرى، فالسماح بذيوع وانتشار مثل هذا الادعاء الكاذب له تأثير سلبي مباشر على المنتسبين للدين الإسلامي والثقافة الإسلامية، وعلى بقية الشعوب التي تبحث عن الثقافة الأصلح، فالتشويش المعتمد للثقافة الإسلامية، تقابله دعوة صريحة للقضاء عليها وصهرها في الثقافة الغربية باعتبارها الأصلح في نظر منظريها[30].

11ـــ إيجاد حالة اغتراب دائم ما بين الإنسان وتاريخه الوطني ، والموروثات الثقافية الحضارية التي أنتجتها حضارة الآباء والأجداد، فتسعى إلى فصل الفروع عن الأصول بكل الطرق والوسائل لمحو الهوية الثقافية وتذويب الخصوصية المحلية، دون اعتداء لاختلاف الثقافات، من أجل خلق ثقافة عالمية واحدة، تمتلك قدرة التأثير في الأعماق بدلاً من التأثير في السطح، لفقدان الشعوب القدرة على الاستفادة من التطورات التكنولوجية[31].

12ـــ تعمل ثقافة العولمة على إضعاف الشعور بالانتماء للثقافة الإسلامية من أجل تذويب الانتماء للدين والمعتقد، وزعزعة علاقة الفرد بأمته ومسخ شخصيته بالثقافة الغربية، فما يخيف الغرب هو شعور المسلمين الدائم بالانتماء الحقيق لدينهم وثقافتهم، وباعتبار أن الإسلام هو الأساس في إحساس الفرد بهويته الثقافية المستقلة، فهم يسعون بشتى الطرق إلى القضاء على الدّين الإسلامي لأنه يشكل خطراً دائماً عليهم[32].

13ـــ السيطرة قدر المستطاع على برامج التعليم في البلاد الإسلامية، وتوجيه التعليم توجيهاً علمانياً، وذلك من خلال التدخل في مناهج الدراسة عبر المراحل التعليمية المختلفة، وإعادة تشكيل وجدان وفكر الشعوب المستهدفة بالاختراق[33].

14ـــ نشر المجلات الخليعة المعتمدة على الإيحاءات وبرامج التلفزيون المشحونة بما يثير غرائز الشباب بشغلهم عن التفكير في مصالح أمتهم ومستقبل حياتهم[34].

15ـ الإكراه الثقافي الفكري الواقع على الثقافات المختلفة ، وخاصة الثقافة الإسلامية، بحيث لا يترك لها حرية الاختيار بين الدخول في ثقافة العولمة وبين التمسك بثقافتها الخاصة، وقد عبر (توماس فريدمان) عن ذلك بأن العولمة أمر واقع، أما الانسجام

والاستيعاب أو الإصرار على العيش في الماضي وبالتالي خسارة كل شيء فلابد من قبول الأمر الواقع، فهذا الإكراه ظلم صار ينتهك حقوق المجتمعات المحافظة على ثقافاتها المحلية الوطنية[35].

16ـــ التأثير في القيم الأسرية التي رسخها الإسلام، وذلك بأن العلاقة ما بين الرجل والمرأة التي نظمها الإسلام تكفل حقوق الطرفين، وترمي بعلاقتهما إلى أفق الطهر والاحترام مع تلبية نداء الفطرة عبر مؤسسة الزواج التي كفلت لها الثقافة الإسلامية التقدير والاحترام، ولكن ما تسعى إليه العولمة الثقافية تغيب هذه القيم عبر إباحة العلاقة الجنسية للرجل والمرأة خارج إطار الزواج، وتخفيف قيود الإجهاض للحمل غير المرغوب فيه، كما أن علاقات الأبناء والآباء بما فيها البر والإحسان، وصلة الرحم والإحسان إلى الجار ... الخ[36]. هذه كلها قيم غائبة عن الغرب، فهم لا يهتمون بالترابط والتكافل الاجتماعي، فكل همهم ضرب هذه العلاقات، لأنها تشكل نقطة البداية للثقافة الإسلامية.

17ـــ لقد تأثر كثير من أبناء المسلمين بالغرب محاولين تقليدهم في كثير من الأمور، كإقامة مراسم احتفالات للأعياد الدخيلة على الإسلام، كالاحتفال بأعياد الميلاد ورأس السنة... الخ بدلاً من الاحتفال بالأعياد والمناسبات الدينية، وإقامة الصلاة، والحث على العدل والتسامح.

18ـــ تركيز بعض الفضائيات على تسطيح الثقافة الدينية لدى الفرد المسلم، ومحاولة فرض مذاهب دينية معينة والدعاية لها، بهدف تفريق المسلمين وجعلهم مذاهب متناحرة، ولعل ما يجري في العراق الآن بين السنة والشيعة أكبر دليل على ذلك.

19ـــ فتح المدارس الأجنبية في ديار المسلمين وتكثيرها وتنويعها وإرسال القسس والرهبان ليشرفوا على هذه المدارس ويربوا أجيال المسلمين على الولاء لهم[37].

20ـــ محاربة اللغة العربية الأصلية والدعوة إلى العامية لقطع الصلة بين ماضي المسلمين وحاضرهم، ومحاولة إبراز اللغة الأجنبية بأنها هي الأساس، ونشر كتب مفسدة تشغل الشباب المسلم عن ثقافتهم الأصيلة[38].

21ـــ فتح العديد بما يعرف بمقاهي الإنترنت من قبل القطاع الخاص، والتي يلجأ إليها الشباب في معظم أوقاتهم، وخاصة في المرحلة الإعدادية والثانوية، الأمر الذي يؤدّي إلى ضعف تحصيلهم العلمي وعدم الاستفادة من أوقاتهم في أمور تمس قضاياهم اليومية، وذلك بما تقدمه الإنترنت من إغراءات لمستخدميها.

22ـ لقد أدت إباحية العلاقات الجنسية إلى انحراف أخلاقي في بعض الدول الإسلامية، فبدوا ينظرون إلى المرأة كجسد فقط مهمته إضفاء المتعة للآخرين ووسيلة تسويق وجذب في الدعايات والإعلانات وعبر الصحافة والبرامج الإغرائية المثيرة عبر شاشات التلفاز، لقد تأثر المسلمون بنظرة الغرب للمرأة، فبعض نساء المسلمين يخرجن شبه عاريات خاصة على القنوات الإعلامية الفضائية، ففي عصرنا هذا انتهكت حرمة المرأة وكلفت بما لا يناسبها من الأعمال المنهكة لشرفها وعفتها وكرامتها مما يعرضها إلى الامتهان والابتزاز الجنسي نتيجة كثرة الاختلاط غير المحتشم بأرباب العمل.

23ـ اختراق الأنماط السلوكية السائدة في الثقافات الأخرى وخاصة الإسلامية، فيما يتعلق بالمأكل والملبس، وذلك بدخول مأكولات غربية إلى بلادنا، وإباحة تناول الخمور والمخدرات ومحاولة دعم تجارتها، لنشر الخلاعة والمتعة المحرمة ودخول أزياء غربية خاصة بالرجال والنساء والتقليعات الغربية الخاص بقص الشعر، وتغيير لخلقة، أي : تغيير ملامح الوجه والجسم، وهذا ما يحدث مثلاً في كثير من البلدان العربية الإسلامية كلبنان، فقد أصبحت اليوم ملاذاً لكثير من أصحاب النفوس الضعيفة لتغيير ما خلقهم الله عليه بقصد التجميل والقبول والإغراء وخاصة الذين يبرزون على الشاشات الفضائية(39).

الإجراءات الكفيلة لمواجهة العولمة:

إن اتخاذ الإجراءات الكفيلة لمواجهة العولمة يتطلب الاستعداد العلمي والاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي والديني حتى نستطيع أن نرد على جميع المخاطر التي تهدد أمتنا الإسلامية من جميع الجهات وفيما يلي بيان هذه الإجراءات التي يستوجب الأخذ بها:

1- ينبغي وضع خطة متكاملة لتطوير البحث العلمي، العربي الإسلامي، على أن تشمل معظم فروع المعرفة الإنسانية وتخصيص الميزانيات الكافية، وعلى أن يرتبط ذلك بأحداث مراكز تكنولوجية عربية إسلامية مركزية متقدمة.

2- يجب تربية شبابنا وإعدادهم الإعداد العلمي الجيد، لتحمل مسؤوليات المستقبل، ليس مجرد تلقين وإنما تدريباً علمياً وممارسة على أرض الواقع، حتى نستطيع الرفع من أمتنا الإسلامية اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وثقافياً ودينياً.

3ـ يستوجب على المسلمين المشاركة في إقامة شركات استثمارية تجارية، تخدم اقتصادهم، حتى لا يخضعوا للشركات متعددة الجنسيات.

4ـ العمل على إنشاء مركز عربي إسلامي مخصص للمعلومات حول فرص الاستثمار والتصدير والاستيراد، وتسهيل عملية التبادل التجاري وتشكيل سوق واحد قادرة على استيفاء المسلمين لجميع متطلباتهم الاقتصادية.

5ـ التأكيد على الفهم الحقيقي للديمقراطية الصحيحة، ودعم مبادئها وترسيخ قيمها، من أجل تحقيق التضامن والتعاون المتبادل بين أبناء المسلمين لتعميق الإحساس لديهم بالمسؤولية.

6ـ لا بد من التمسك بالإرادة الوطنية المستقلة للشعوب والتمسك بنتائج الاستقلال السياسي بعد عصر التحرر من الاستعمار.

7ـ لا بد من الاهتمام والعناية بمؤسسات الضمان الاجتماعي، ومراكز الرعاية الصحية للأسرة ، من أجل مساعدة ودعم الأسر المحتاجة في التصدي لبعض المشكلات الاجتماعية التي تواجهها، من خلال الرفع من مستوى الدخل ، وتوفير الخدمات والمساعدات بأسهل طريقة ممكنة.

8ـ يجب دعم المرأة وتشجيعها على المشاركة في الحياة الاجتماعية، وذلك بما يتماشى مع طبيعتها كامرأة مسلمة.

9ـ لا بد من تنشيط ممارسة النقد الهادف البناء مع إرساء قاعدة احترام الثوابت الثقافية الوطنية القومية.

10ـ لا بد من إقامة مشروع ثقافي عربي – إسلامي، لترجمة كل العلوم والآداب، والفلسفة التي تقوم عليها الحضارة إلى اللغة العربية، وتعريب التعليم والبحث العلمي ونفي الخوف من الآخر، وتعزيز ملكة الاختبار بين النقائض، ودعم حقوق المؤلف، وتحرير الثقافة الوطنية من قيودها، ودعم المؤسسات الإبداعية، ولابد من تضافر الجهود لإقامة السوق العربية الإسلامية الموحدة في مجال الثقافة والإنتاج الأدبي والعلمي والفني.

11ـ لابد من تبني المنهج الشمولي في فهم الإسلام الذي يجمع بين العقيدة والشريعة والسلوك والحركة والبناء، وفق منهج داعم يعتمد على العلم والعقل.

13ـ لا بد من الفهم العميق لأصول العقيدة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة، وتقديم هذه الأصول إلى أبنائنا خالية من ملابسات البدع الطارئة والزوائد اللاحقة ، إذ لا يمكن تقديم العقيدة الإسلامية إلا بمنهج الوحي المنزل من القرآن الكريم.

14ـ الدين الإسلامي إذا فهمناه الفهم الصحيح يكون بمثابة الحامي والحارس من اتباع الرذائل والانحرافات التي تنادى بها العولمة في جوانبها السلبية، وطالما هو الحارس

تسعى العولمة بكل الطرق والوسائل إلى القضاء عليه وإقصائه من الحياة واقتلاعه من النفوس باعتبار أنه يشكل خطراً عليها ويحرم كل ما تبيحه، فخوف الغرب من الإسلام ليس من ناحية القوة العسكرية، لأنه قد هزم المسلمين أمام الغرب المتفوق تنظيماً وتسليماً، ولكن الخوف من قوة العالم الإسلامي المعنوية المتمثلة في العقائد الدينية ووحدة الفكر والتاريخ والانتماء إلى مصير واحد...الخ.

فالمسلمون اليوم في حاجة ماسة إلى التفكير السليم والبعد عن الخرافات والأوهام، والأخذ بأساليب العلم والمعرفة بجميع المجالات من أجل الوصول إلى التفوق، والوعي بأن إعمار الأرض وصنع الحضارة يعد مسؤولية دينية تحقق إرادة الله في الأرض.

الخاتمـــــــة

وفي ختام هذا البحث نصل إلى أن العالم يسير من حولنا بسرعة مذهلة، والمتغيرات على الساحة الدولية لا تكف عن التغيير والتطوير، فقد استطاع الغرب أن ينشر العولمة بايجابياتها وسلبياتها، بفضل الثورة العلمية والتكنولوجية وثورة المعلومات والاتصالات فكل ذلك له تأثير مباشر على أبناء الأمة الإسلامية، ترجع علاقة المسلمين بالعولمة إلى الصراع والاحتكاك والتفاعل المستمر تاريخياً منذ الحروب الصليبية وفرض الاستعمار هيمنته على الشرق الإسلامي، فالفكر الإسلامي دائماً في صراع وحوار مع الغرب، وإن الحوار مع الآخر كما نعلم مطلب إسلامي، بشرط أن يكون الحوار جاداً ومثمراً، فيعتبر المسلمين العولمة في جانبها السلبي بمثابة مشروع غربي للهيمنة الغربية على العالم أجمع ولا يستطيع المسلمون الوقوف ضد سلبيات العولمة إلا إذا اعادوا فهمهم الحقيقي للإسلام، وذلك بأن ثبت فيه روح جديدة تدعو إلى العودة إلى إسلام سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - ، فلابد من أن تتجنب كل ما يبعدنا عن القرآن وسنة نبينا الكريم، من بدع وشبهات وتشويهات الغرض منها إثارة الفتن بين المسلمين، والادعاء بأن الدين الإسلامي قد استنفذ أعراضه، ولم يعد قادراً على مواكبة متطلبات العصر، فالعولمة تسعى إلى ابعاد الإسلام كعقيدة دينية عن الحياة وإحلال الفكر المادي العلماني محله، من أجل أن يتحول المسلمون إلى مجرد اتباع للغرب، دون أي نقد أو رفض لما يدور حولهم من تغيير قد يمس أصولهم التي يبني عليها الدين القويم. **وما توفيقي إلا بالله**

الهوامش :

(1) سيار الجميل، العولمة الجديدة والمجال الحيوي للشرق الأوسط، مركز الدراسات والتوثيق للنشر، بيروت، ط الثانية، 2001م، ص29.
(2) السيد يس، مفهوم العولمة، ندوة العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية للنشر، بيروت، ط الأولى، 1998م، ص26.
(3) مايك فيدرستون، ثقافة العولمة، ترجمة عبدالوهاب علوب، المجلس الاعلى للثقافة والنشر، ص20.
(4) المصدر نفسه، ص21.
(5) المصدر نفسه، ص5.
(6) انطوني جيدنز، الطريق الثالث، ترجمة مالك أبو شهيو، محمود محمد حلف، دار الرواد للنشر، طرابلس، ط الأولى، 1999م، ص10.
(7) زونا روبرتسون، العولمة الاجتماعية والنظرية الثقافية الكونية، ترجمة أحمد محمود، وأنور أمين، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1998م، ص295.
(8) السيد يس، العولمة فرص ومخاطر، دار ميريث للنشر، القاهرة، ط الاولى، 2000م، ص19.
(9) السيد يس، مفهوم العرب والعولمة، مرجع سابق، ص27.
(10) سيار الجميل، العولمة الجديدة والمجال الحيوي للشرق الأوسط، مرجع سابق، ص29.
(11) زكريا بشير إمام، في مواجهة العولمة، مرجع سابق، ص 184.
(12) عادل بن علي الشذي، العولمة وآثارها الثقافية، مرجع سابق، ص 261 .
(13) عادل بن علي الشذي، العولمة وآثارها الثقافية، مرجع سابق، ص 262.
(14) محمد أحمد الخضيري العولمة مقدمة في فكر واقتصاد وإدارة عصر اللادولة، مرجع سابق، ص 36.
(15) عادل بن علي الشذي العولمة وآثارها الثقافية، مرجع سابق، ص 263.
(16) المرجع نفسه، ص 262.
(17) محيي الدين محمد حسن، عالم الكمبيوتر والإنترنت مجلة منار الإسلام ، ص 109
(18) محسن أحمد الخضيري، العولمة مقدمة في فكر واقتصاد وإدارة عصر اللادولة، مرجع سابق، ص 144.
(19) المرجع نفسه، ص144.
(20) عائض عبدالله القرني، الإسلام وقضايا العصر، دار ابن حزم للنشر، لبنان، ط الأولى، 2001م، ص239.
(21) سميح عاطف الزين عالمية الإسلامية ومادية العولمة، مرجع سابق، ص 207.
(22) عائض ابن عبدالله القرني، الإسلام وقضايا العصر، مرجع سابق، ص240.
(23) زغلول النجار ، الإسلام والغرب في كتابات الغربيين، مرجع سابق، ص252.
(24) عائض بن عبدالله القرني، الإسلام وقضايا العصر، مرجع سابق، ص257.
(25) www.google.com ريما سعد الجرف، ندوة العولمة و أولويات التربية، جامعة الملك سعود للنشر، 1425ه، ص 13.
(26) عائض القرني، الإسلام وقضايا العصر، مرجع سابق، ص252.
(27) المرجع نفسه، ص 260.
(28) محمود الداود، الطريق إلى العولمة الإيمانية، مرجع سابق، ص24.
(29) سورة الأحزاب، الآية 33.
(30) عادل بن علي بن الشذي العولمة وآثارها الثقافية، مرجع سابق، ص257.
(31) محسن أحمد الخضيري العولمة مقدمة في فكر واقتصاد وإدارة عصر اللادولة، مرجع سابق، 131.
(32) جمعة محمد الأحول العولمة وأثرها على الدين والثقافة الوطنية، مجلة كلية الآداب، العدد الأول، جامعة 7 من أبريل، 2005ف، ص71.
(33) مصطفى حلمي، الفكر الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي في العصر الحديث، دار الدعوة للنشر، الإسكندرية، ط الأولى، 1998ف، ص52.
(34) المرجع نفسه، ص52.

(35) عادل بن علي بن الشذي العولمة وآثارها الثقافية، مرجع سابق، ص259.
(36) المرجع نفسه، ص 260.
(37) مصطفى حلمي، الفكر الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي في العصر الحديث، مرجع سابق، ص52.
(38) مصطفى حلمي الفكر الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي في العصر الحديث، مرجع سابق، ص54.
(39) عادل بن شدى، العولمة وآثارها الثقافية، مرجع سابق، ص261.